ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح١٦) / عبد الحليم الغزّي
التقويم القمري في ضوء ثقافة العترة الطاهرة (ج٦)
الخميس : ١٤/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ - الموافق ١٠/١١/٢٠٢٢م

الجزءُ السادسُ من عُنواننا المتقدِّمِ في الحلقاتِ الماضية: "**التقويمُ القَمَريُّ في ضوءِ ثقافةِ العترةِ الطاهرة صلواتُ اللهِ عَلَيهَا**".

الزّمانُ لهُ مراتب:

- **المرتبةُ الأولى:** مرتبةُ الزَّمَن المحسوس، وهو على نوعين:
- الزَّمنُ الوجداني؛ الَّذي نستشعرهُ بوجداننا.
- والزَّمنُ الحدثاني؛ والَّذي نستشعرهُ من خلال الوقائعِ والأحداث الَّتي تَحدُثُ في نُفوسنا أو أنَّها تَحدُثُ في الخارج..
- **المرتبةُ الثانية:** الزَّمنُ الـمَدْرُوس، ما يقعُ تحتَ طائلة الدَّرس بحيثُ يستطيعُ الإنسَان أن يُسَلِّطَ نَظرَهُ في المراقبةِ والبحثِ والتعلُّمِ والتعليمِ في شؤونِ ذلكَ الزّمان، الزّمنُ الـمَدْرُوس هو الآخَر على نوعين:
- الزّمَنُ الفَلكيُّ، الحركيُّ الناشئ من حركة الأفلاك تارةً بِمُلاحظة الأرض، وأُخرى بملاحظة المجموعة الشَّمسيَّة الَّتي هي مجموعتنا الشَّمسيّة، وأخرى بملاحظة مَجرّتنا إنَّها مَجرّةُ درب التبّانة، وتارةً بملاحظةِ الكون المرئي، أمَّا الكونُ غيرُ المرئي فهو موجودٌ لكنَّ الإنسانَ لَم يستطع أن يَصِلَ إليهِ عبرَ وسائلِ بَحثهِ ومُراقبتهِ ومُتابعته.
- النوعُ الثاني: هو الزَّمنُ الاعتباريّ وهو الزَّمنُ المقاس الَّذي تعتبرهُ الحُكوماتُ والدولُ والنَّاسُ في حياتها..

المرتبةُ الثالثة من مراتب الزَّمن: "الزَّمنُ الوسيع".

الزمنُ الوسيع يشتملُ على نوعين:

النوعُ الأوَّل: الزّمنُ الوجودي.

ما الـمُرادُ من الزَّمنِ الوجودي؟ نحنُ عندَنا في هذا الوجود للأشياء مَظاهر، وهذه المظاهرُ لها تَجلِّياتٌ، وهذه التجلِّياتُ يُمكنُنا نَظرياً، ونَظرياً محضاً أن نُقَسِّمها إلى آنات، هذه الآناتُ أقصى ما يَستطيعُ العقلُ أنْ يُدرِكَ من التجزّيء، أنا لا أتحدَّثُ هُنا عن تجزئة هندسيّة، أو عن تجزئة رياضيّة، التجزئةُ الهندسيّةُ والتجزئةُ الرياضيّةُ تجزئةٌ فيزيائيّةٌ، وأنا هُنا لا أتحدَّثُ في عالم الفيزياء، وإنَّما أتحدَّثُ في عالَمِ ما وراء الفيزياء؛

- فيزيك.
- ميتا فيزيك.

فيزيك؛ هو الطبيعي في عالم الفيزياء.

وميتا فيزيك؛ ما وراء الفيزياء.

هذه المصطلحاتُ الَّتي تُذْكَرُ في كُتُب الفلاسفة حينما يَتحدَّثونَ عن الصورِ الفيزيقيّة وعن الصورِ الميتافيزيقيّة، الصُورُ الفيزيقيّةُ الكَلمَة فيها أصلُها فيزيك، الصَورُ الميتافيزيقيّة الكلمةُ في أصلها ميتا فيزيك، فأنا أتحدَّثُ فيما وراء الفيزياء هُنا، في الزَّمن المحسوس وفي الزَّمن المدروس كُنتُ أتحدَّثُ في عالم الفيزياء، لكنَّني حينما وصلتُ إلى المرتبة الثالثة وهي مرتبةُ الزَّمنِ الوسيع إنَّني أتحدَّثُ فيما وراء الفيزياء.

أنا أمامَكم وأنتُم كذلكَ كُلُّ واحد منكُم أمامَ الآخر، هذا الَّذي تُشاهدونهُ لا أتحدَّثُ عن التلفزيون وعن البث التلفزيوني، حينما تُشاهدونَ إنساناً، حينما تُشاهدونَ حيواناً، حينما تُشاهدونَ نَباتاً، حينما تُشاهدونَ حجراً جماداً، هذا الَّذي نُشاهدهُ في عالم الحقيقة ما هو بشيء مُنْجَمد مادّيٍّ ثابت، هذه مجموعةٌ تجلِّيات، لكنَّها تتجسَّدُ بهذه الصورة، الكلامُ هو هو ينطبقُ على الماديّات وعلى المعنويّات، هُناكَ تَجلٍّ بَعدَهُ تجلٍّ نحنُ لَا نستشعَرهُ لكنَّنا إذَا أردنا أن نَتعمّقَ في دراسة المعارف الغَيبيّة في ثقافة العترة الطاهرة سنتلمَّسُ هذه الحقيقةَ الواضحة، نحنُ مظاهر، وهذه المظاهرُ لها حقائق، نحنُ انعكاسٌ لحقائق، لو كُنَّا حقائق لَمَا تَحرّكنا باتجاهِ نهاية الدُّنيا، لكنَّنا مَظاهر لحقائق، وهذهِ المظاهرُ تتألَّفُ من تجلِّيات، وهذه التَجلِّياتُ إذا أردنا أن نَجِد لها أجزاءً فأجزاؤها الآنات، الآناتُ جمعٌ لآن.

"**الآن"، هل لهُ تعريفٌ فيزيائيّ؟** في هذا الجو، لا أتحدَّثُ عن اللغة؛ ليسَ للآن من تعريف فيزيائيٍّ، إنَّهُ أصغرُ جُزء يستطيعُ العَقلُ أن يُدركهُ إذا ما تَعمّقَ في حقائق الأشياء، أئمَّتُنا أخبرونا من أنَّ سورةَ التوحيد مثلاً: "**أُنْزِلَت للمُتعَمِّقينَ في آخرِ الزَّمان**"، وآخر الزَّمان بدأ منذُ وِلادة إمامِ زماننا..

في دُعاء السَّحر مَثلاً الَّذي يُقرَأ في أسحارِ شهرِ رمضان، في (مفاتيح الجنان)، حينما نقرأ: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ بِأَجْمَلِه**)، قطعاً الدُعاءَ لا يتحدَّثُ عن الذَّاتِ الإلهيّة الأولى، عن الأوَّل الَّذي لا أوليّة لأوليّته ولا آخريَّة لآخريَّته، لماذا؟ لأنَّ الدُّعاء يتحدَّثُ هنا عن مَراتبَ، هذه مَراتبُ في الجمال، الذَّاتُ الإلهيّةُ ليستَ فيها مراتب لا يُمكنُ أن نَتصوَّرَ أنَّ الذَّاتَ الإلهيّة الأولى فيها مراتب، هذه المراتبُ هي تجلِّياتُ الحقيقة الـمُحَمّديّة، حتَّى الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ ذاتاً ليست لها مراتب، وإلَّا لَمَا تَحدَّثَ عنها دُعاء ليلة المبعث: (**وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ** - هذا اسمٌ مخلوق - **فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك**)، لن يستقرّ في ظلِّ اللهِ إذا كانَ مُركَّباً، "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَمَالِكَ كُلِّه**"؛ هذا الجمالُ الـمَنبسطُ على الأشياءِ عبرَ تَجلّيات الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، وهُنا تتشعَّبُ مَراتبهُ بحسبِ اختلافِ مراتبِ الأشياء الَّتي أشرقت من فَيضِ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.

الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ الَّتي هي الاسمُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظمُ حقيقةٌ بَسيطة، ومن هُنا استقرّت في ظِلِّه في ظلِّ الذَّات الأولى فَلا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِك؛ "**فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِك**"، وهذا المضمونُ يتكرّرُ في الأدعية.

هذا الدعاءُ بِكُلِّه لا علاقةَ لهُ بالذَّات الإلهيّة إلَّا حينما نقول: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من بَهَائِكَ**"، من بهائكَ المتجلِّي، أينَ تَجلَّى؟ تجلَّى بنحوٍ مُباشرٍ في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة في الاسم الأعظمِ الأعظمِ الأعظم الَّذي خلقهُ فاستقرّ في ظلِّه فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، ثُمَّ تَجلَّت الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ فيما أشرقَ منها من الخلائقِ على اختلافِ صُنوفها، ومن هُنا فإنَّ اللهَ خلقَ المشيئةَ بنفسها من دُونِ وسائط، ثُمَّ خَلقَ الأشياءَ بالـمَشيئة، والمشيئةُ هي الاسمُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظم إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ العُظمى.

﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾، ليسَ هُناكَ من قُدرة على عدِّ التجلِّيات في كُلِّ الأشياء، فليسَ هُناكَ من عدٍّ لهذه التجلِّيات، نحنُ مظاهرُ لحقائقٍ وهذه المظاهرُ عبارةٌ عن مجموعة من التجلِّيات وهذهِ التَجلِّياتُ إذا أردنا أن نُجزِّئَها فإنَّنا نجزئها اصطلاحاً إلى آنات أقصى ما يَستطيعُ العقلُ البشريّ أن يتصور ذلك، وهذهِ المعارفُ هي بحدود تَصوّرنا،

مَعرفَتُنا عن اللّه بحسبنا لذا فإنَّنا نقرأ في (مُناجاة العَارفينَ) وهي مَرويَّةٌ عن إمامنا السَّجَّاد صلواتُ اللّه عليه: "**وَلَمْ تَجْعَل للخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتك إِلَّا بِالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتك** "، هذا غايةُ ما نَصِلُ إليه نَعجزُ عَنْ معرفته فقد عَرفناه، وهل هذه مَعرفةٌ؟! نعم هذه مَعرفةٌ بحسبنا، إذاً ما هي مَعرِفَتُنا لربنا؟ هي العجزُ عَن مَعرفته، فَبما أنَّنا عاجزونَ عنْ مَعرفته وَجَّهنا إلى جهةَ أوجدها لنا، وَجَّهنا إلى البَاب الَّذي لا يُؤتَى اللّهُ إلَّا منه، وَجَّهنا إلى العروة الوثقى الَّتي لا انفصامَ لها، وَجَّهنا إلى إمامِ زماننا، ونحنُ أيضاً لا نُدرِكُ كُنهَ إمامِ زمانِنا، مَعرِفَتُنا به أيضاً مَعرِفَتُه صلواتُ اللّه عليه، لكنَّهُ جعلَ فيما بيننا وبينهُ رابطةً؛ وَلايَتُنا، مضمونُ بيعة الغدير؛ (اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه وَعَادِ مَن عَادَاه وَانْصُر مَن نَصَرَه وَاخْذُل مَن خَذَلَه)، وَلايَتُنا لإمامِ زماننا هي هذهِ الَّتي تُوصِلُنا إلى اللّه، (مَن وَالَاكُم يَا آلَ مُحَمّد فَقَد وَالَى اللّه)،

العبائرُ الأولى في المناجاة جميلةٌ جِدَّاً: **إِلَهِي قَصُرَت الأَلْسُنُ عَن بُلُوغِ ثَنَائك كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالك** - وماذا تستطيعُ الألسُنُ أن تقول إذا كانت العُقولُ عاجزة؟! - **وَعَجزَت العُقُولُ عَن إدرَاك كُنْه جَمَالك وَانْحَسَرت الأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبُحَاتِ وَجْهِك** - "السّبحاتُ"؛ الهالات، الإشراقات - **وَلَم تَجْعَل للخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتك إِلَّا بِالعَجْزِ عَن مَعْرِفَتِكَ** - هذه معرفتي للّه إنَّني عاجزٌ عن معرفته، إذاً ماذا أصنعُ معَ اللّه؟! لا أستطيعُ أن أصنعَ شيئاً هو الَّذي يصنعُ معي، فتحَ لي باباً جعلَ لي سبباً تَجلَّى لي بوجهه في إمامٍ هو الحُجَّةُ بنُ الحسن، (**أَيْنَ وَجهُ اللّه الَّذي إِلَيه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء أَيْنَ السَّبَبُ المُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْض وَالسَّمَاء أَيْنَ بَابُ اللّه الَّذي منْهُ يُؤْتَى**)، مضمونُ الزيارة الجامعة الكبيرة القولُ البليغُ الكاملُ دُستورناَ العقائديّ الشيعيّ الأصيل، (**مَن أَرَادَ اللّهَ** - سادتي - **بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّه إِلَيكُم**)، صلواتُ اللّه عليكم.

حينما نقرأ في دُعاء السّحر: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من كَلِمَاتك بِأَتَمِّهَا** - إذا أردنا أن نأخُذَ المعنى اللغويَّ مثالاً، الكَلمةُ تتألَّفُ من حُروف، والحُروفُ هي أصوات، والأصواتُ هي موجاتٌ تتألَّفُ من ذَبذَبات وهكذا، قَطعاً المرادُ مِن الكلمات الأتم الحقيقةُ المُحَمّديَّة، هذهِ كَلماتُ الخَلْق، وكلماتُ الإبداع، وكلماتُ الفَيض السُّبحاني، هذا هو المرادُ من قولي الزَّمانُ الوجوديّ.

المرتبةُ الثالثة الزَّمنُ الوسيع وهو على نوعين:

- الزّمنُ الوجودي أوّلاً.

- والزّمنُ الغيبي ثانياً.

مظاهرُنا في العوالمِ الأخرى المظاهرُ المتعدِّدةُ في العوالمِ المتعدِّدة؛ فالزّمنُ هُناك هُو الزّمن الغّيبي.

سأضربُ لَكُم مثالاً في سورة القدر لكن بعد أن أُحدِّثكم بِنحوٍ موجز عن المرتبةِ الرابعةِ مِن الزَّمن؛ "**إِنَّهُ الزَّمنُ الأعظم الزّمنُ الحقيقي**"، كُلُّ مراتب الزّمن الَّتي حدَّثتكم عنها تجلّياتٌ لهذا الزّمن الأعظم.

حينما يقولُ أئمَّتُنا: (**نحنُ الأيّام**)، هذه الكَلمةُ؛

- يمكننا أن نفَهمها وفقاً للزّمن المحسوس، فإنَّ الأيّام موجودةٌ في الزّمن المحسوس.

- ويُمكننا أن نفهمها وفقاً للزّمن المَدْروس، فإنَّ الأيّامَ موجودةٌ في الزّمن المَدْروس.

- ويُمكننا أن نفهمها وفقاً للزّمنِ الوسيع، فإنَّ الأيّامَ موجودةٌ في الزّمنِ الوسيع.

وفي كُلِّ الأنواع الَّتي تَمَّ الحديثُ عنها: كُلُّ ذلكَ تَجلّياتٌ ظُهوراتٌ للأيّام الحقيقيّة الَّتي هي أيّامٌ في المرتبة الرابعة من مراتب الزَّمن؛ إنَّها مرتبةُ الزَّمنِ الأعظم، الزَّمنُ الحقيقي، إنَّهُ الزّمنُ المُحَمّديّ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ دُعاءُ ليلة المبعث: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَّجَلِّي الأَعْظَم فِي هَذِهِ اللَّيْلَة منَ الشَّهْرِ المُعَظَّم**)، في اللَّيلة السابعة والعشرين من شهرِ رجب، لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن التفاصيلِ الدُّنيويَّة لهذا المعنى، وإنَّما حديثي عن الزَّمنِ المُحَمَّديّ، فما كانَ في البعثةِ الأرضيّةِ هو من تَجلّيات ذلكَ الزَّمن الأعظم.

حينما نُخاطبهم؛ "من أذَّ هم أوقاتُ صلاتنا"، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هذا بحسبِ الزَّمنِ المحسوس، لكنَّهُ من تَجلّيات الزَّمنِ الأعظم.

"**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَّجَلِّي الأَعْظَم** "؛ حسابُ السِّنين، حسابُ الشهور في عالمِ الدُّنيا تجلّياتٌ من هُناك، من هُنا فإنَّ القُرآنَ يعدُّ النَّسيء زيادةً في الكُفر، إنَّهُ عَبَثٌ في التجلّيات، لكنَّها شُؤونٌ تتناسبُ معَ عالمِ الطبيعة، وهذا هو الَّذي قُلتهُ لَكُم نحنُ مظاهر، هذه مظاهر الحقائقُ هُناك، الحقائقُ في الوطن الأصل، "وَحُبّ الوطَنِ من الإيمَان"، الوطنُ الحقيقةُ المُحَمَّديَّةُ وطَنُ هذه المظاهر، الكونُ سائرٌ إليها، وما الدُّنيا حتَّى بظُهورها المهدويّ وبرجعتها العظيمة وبالدولة العُظمى في آخرها كُلُّ هذا خُطواتٌ باتجاه الآخرة، وما الآخرةُ إلَّا مُجاورةٌ في فناء الحقيقة المُحَمَّديَّة، فَهُم الأوَّلُ وهُم الآخر، ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، في إمامٍ مُبين بحسبِ الزَّمن المحسوسِ والمَدْروس في الحُجّة بن الحسَن العسكري، ولكن بحسب الزَّمنِ المُحَمّديّ الأعظم الكلامُ ينتقلُ إلى هُناك، وهذا هو التجلّي الأعظم.

التجلّي الأعظم حينما تَجلَّى اللّهُ في الحقيقة المُحَمَّديَّة، مثلما أقفُ أنا أمامَ المرآة وتتجلَّى صورتي في المرآة؛ (خَلَقَ المَشْيئَةَ بِنَفْسها)، من دُونِ وسائط، ولذا تَجلّى فيها، تَجلّى اللّهُ في المشيئة الَّتي هي الحقيقةُ المُحَمَّديَّة، وهذهِ الكلماتُ تُقَرِّبُ لنا مضمونَ التجلّي هذا بألفاظٍ تتناسبُ معَ عُقلنا، هذهِ الألفاظُ لا تعكسُ الحقيقة، هذه الألفاظُ تُقَرِّبُ المعنى.

في الآية الثالثة بعدَ البَسملة من سورة الزخرف: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، الكلامُ هُنا أيضاً: إنَّا جَعلناهُ كلاماً عربياً في دُعاء المبعث هذا لَعلَّكُم تَعقلونَ، لَعلَّكُم تُدركون، "لعلَّكم"؛ لَعلَّ للتوقُّع والترجي، ليسَ هُناكَ من ضَمانٍ على أنَّ فهمنا يكونُ فَهماً صحيحاً، ثُمَّ يعودُ القُرآنُ فيُخبرنا منَ أنَّنا لا نُدرك تأويلَهُ علينا أن نعودَ إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** - لَكنَّهُ في الحقيقةِ ليسَ كذلك - **وَإِنَّهُ** - هذا القُرآنَ - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، حقيقةٌ أخرى، قُلتُ لكم نحنُ نَتحرَّكُ في وجودنا باتِّجاه أُمِّ الكتاب..

إذا كُنتم تبحثونَ عن عليٍ هُنا علي: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، لا أتحدَّثُ عن المصحف، المصحفُ من آثارِ علي، علي هو روحُ مُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٌ هو روحُ علي إنَّها الحقيقةُ المُحَمَّديَّةُ العُظمى..

حَدَّثنا دُعاء ليلة المبعث عن شيء من التجلّي الأعظم الَّذي هو الزَّمنُ الأعظم، الزَّمنُ المُحَمَّديُّ الأعظم: **وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَم** - إنَّهُ مُحَمَّد - **الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ** - مَخلوقٌ - **فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِك** - اللّهُ تَجلّى في الحقيقة المُحَمَّديّة، وهذا التجلّي نَحنُ لا نتواصلُ معه، (كانَ اللّهُ ولَم يَكُن مَعَهُ شَيء)، لم تَكُن الحقيقةُ المُحَمَّديَّةُ موجودةً ثُمَّ خَلَقَها فكانَت ولم يَكُن مَعها شَيء.

في دُعاء شهرِ رَجب تتجلّى الحقيقةُ المُحَمَّديَّةُ في العديد من المراتب، أُشيرُ إلى بعض هذه المراتب على سبيل المثال:

فحينما يَقول الدُّعاء: **فَبِهِم مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا أَنْت** - هذا تجلٍّ للحقيقة المُحَمَّديّة، ولَكن عبرَ أسمائها، عبرَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، هُنا تجلّت الحقيقةُ المُحَمَّديَّةُ في الأشياء، في الكون.

في جهة أخرى هُناكَ تجلٍّ لِمَن تَرابطوا وتواصلوا معَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ممَّن عَرَفُوهُم من الملائكة منَ الإنس، من سائر المخلوقات: **أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم من مَشِيَّتِكَ** - المَشيّةُ هي الحَقيقةُ المُحَمَّديَّةُ العُظمى نطقَت في مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - **فَجَعَلْتَهُم مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَانَاً لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان** - في الكونِ كُلِّه - **يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ** - هذا تجلٍّ للّه فيهم ولكن بشرط أنَّهم عَبيدٌ مخلوقون، نَحنُ حقائقُنا تتواصلُ مع هذا التجلّي، زَمَنُنا المُحمَّديّ بالنسبة لنا هو هذا، زَمَنُنا المُحَمَّديّ الأعظم هو هذا بالتواصل مع هذه الجهة: "**يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ** - إذا عَرَفْنَاهُم، هذا هو وجهُ اللّه الَّذي إليهِ يَتوجَّهُ الأولياء في الزَمَن المُحَمَّديّ، الزَمنُ المُحَمّديّ الَّذي هو حقيقةُ هذا الزَّمانَ، لا أتحدَّثُ عن زمانٍ بعينه أتحدَّثُ عن الزَّمانِ بِكُلِّ مَراتبه.

سأَضرِبُ مَثالاً تقريبياً لتوضيح هذه المطالب، سآخذُ سُورة القدر مثالاً وسأتحدَّثُ عنها بإجمالٍ مِن دُونِ تفصيل:

- سورةُ القَدرِ هذه خُزانةٌ صاحبِ الأَمر، فَماذا تتوقَّعونَ فيها؟!

- سورةُ القدرِ هذه لوحةُ الزَّهْراء فَاطمَة فماذا تتوقَّعونَ أن نَجِد فيها؟!

- سورةُ القَدْرِ هيَ مُشَجَّرةُ النَّسَبِ المُحَمَّديّ فإنَّ اللّهَ سُبحانَهُ وتعالى قالَ لِمُحَمَّده في المِعراج: "سُورةُ التوحيدِ نِسْبَتي هِي نِسْبَةُ اللّه، وسُورةُ القَدْر هِي نِسْبَتُكَ ونِسْبَةُ أهلِ بَيتك"، فماذا تتوقَّعونَ أن نَجِد فيها؟

ولذا فإنَّ الحديثَ في أَجوائها حديثٌ مُتشَعِّب والكلامُ في أفنيَتها يَطُولُ ويَطُول لهُ غصونٌ..

• سأُحَدِّثكم عن مُستويات من أفاقِ سُورة القَدْر.

المستوى الأوَّل: ليلةُ القَدْرِ أنتُم تَعرِفون من أنَّها خيرٌ من ألف شَهر.

في الجزء الرابع من أجزاء الكافي الشريف/ طبعةُ دارِ التعارف/ بيروت - لبنان/ الصفحة الثانية والستين بعدَ المئة/ الحديثُ العاشر وهو حديثٌ طويل، أذهبُ إلى موطنِ الحاجة منه: **بِسَنده** - بسند الكُليني - **عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى القَمّاط، عَنْ عَمِّه، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه، رَأَى رَسُولُ اللّه فِي مَنَامِه بَنِي أُمَيَّةَ يَصْعَدُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ من بَعْدِه** - إلى آخرِ الرواية، أذهبُ إلى موطنِ الحاجةِ في آخرِها: **جَعَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ** - إمامُنا الصَّادقُ يقول - **لَيْلَةَ القَدْرِ لِنَبِيِّه خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، خَيْراً مِن أَلْفِ شَهْرِ مُلْكِ بَنِي أُمَيَّة** - فَلَيلَةُ القَدْر خَيرٌ من مُلْك بَني أُميَّة من أوَّله إلى آخرِه، النَّبيّ لَيسَ مُحتاجاً لليلة القَدْر، صاحبُ الزَّمان ليسَ مُحتاجاً لليلة القَدْر، أنا وأنتُم نَحتاجُ لَيلةَ القَدْر، جُعلَت لِي ولَكُم خَيراً من ألف شهر، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾، أنا لا أعرفُ قيمَتها، هذا الخطابُ صحيحٌ لرسول اللّه، إنَّهُ لرسول اللّه لفظاً، القُرآنُ نزلَ كما يَقولُ باقرُ العُلوم: (نَزَلَ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَة)، اللَّفظُ لِمُحَمَّد والمعنى لِي ولكم، هذا السؤال ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾، هذا سؤالٌ لَفظاً وُجه لرسول اللّه وُجه لِمُحمد وآلِ مُحمَّد، ومعنى مُوجَّهٌ قطعاً لي ولكم، وهذهِ مِنَّةٌ مُحَمَّديَّةٌ علينا أنْ جُعلت هذه اللَّيلةُ خَيراً من ألف شهر..

في الجزء الثاني من (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة)، للمُحدِّث شرف الدين الاسترابادي النَّجفي/ طبعةُ مُؤسّسة الإمام المهديّ/ قُم المقدَّسة/ الصفحة السابعة بعدَ العاشرة بعدَ الثمانمائة/ الحديثُ الثاني: **عَنْ أَبِي بَصِير، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر"؛ هُوَ سُلْطَانُ بَنِي أُمَيَّة** - ألفُ شَهر تُشيرُ إلى سُلطانِ بني أُميّة، بغضِّ النَّظرِ عن أنَّ الإشارةَ جاءت بمنطقٍ حسابيٍّ، أو أنَّها تُشيرُ إلى الوقت الطويل - **لَيْلَةٌ مِن إِمَامِ عَدْلٍ أو (من إِمَامِ عَدْلٍ)، لَيْلَةٌ من إِمَامِ عَدْلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مُلْكِ بَنِي أُمَيَّة** - وهذا هو الَّذي شرحتهُ لَكُم من أنَّ اللَّيلةَ لنا بفضلِ إمامِ زماننا، قد تَقصُدُ الروايةُ لَيلَةٌ حُكمٍ من إمامِ عَدلٍ خَيرٌ من ألفِ شَهرٍ من مُلْكِ بَني أُميَّة الظَّالم الجائر، ولكن حتَّى لو قَصدت الروايةُ هذا فإنَّنا نَتنعَّمُ بتلكَ اللَّيلة، لكنَّ المعنى الأدقّ إنَّها ليلةٌ نقضيها مع إمامِ زماننا في عصرِ الغَيبَة، في عصرِ الظُهور أكُنَّا نراهُ بأعيننا، أم كُنَّا نراهُ بِقُلوبنا، ليلةٌ بإخلاص في خدمة إمامِ زماننا خيرٌ من ألف شَهر، الإمامُ هُنا لا يتحدَّثُ عن لَيلةِ القَدْرِ فقط، يُمكنَنا أنْ نَجعلَ كُلَّ لَيلةٍ من ليالي خدمتنا لإمامِ زماننا أن نَجعلَها لَيلَةَ قَدْر، ويُمكننا أن نَجعلَها لَيلَةً من لَيالي جهنَّم!

في (غَيبَة النُعماني)، المتوفّى سنة (٣٦٠) للهجرة/ طبعةُ أنوارِ الهدى/ قم المقدَّسة/ الطبعةُ الأولى/ الصفحة السادسة والعشرين بعدَ المائة: **بِسَنده** - بسند النُعماني - **عن صَادق العترَة الأَطْهَر صَلواتُ اللّه عَلَيه، يُخاطب يَحيى بن عبد اللّه: يَا يَحْيى بن عَبد اللّه، مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ** - هذه لَيلَةٌ من ليالي جهنَّم - **مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّة** - إذاً الفوزُ كُلُّهُ والنَّجاةُ كُلُّها والسَّعادةُ كُلُّها أن نكونَ في خدمة إمامِ زماننا.

يُمكننا أن نَكونَ في لَيلَةَ قَدْرٍ في كُلِّ لَيلَة إذا التزمنا ببرنامج إمامنا الصَّادق حينما كانَ يَتحدَّثُ عن قائمِ آلِ مُحَمَّد ويقول: (لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)، إذا كُنَّا كذلك فإنَّ كُلَّ لَيلَةَ من لَيالينا ستكونُ ليلَة قَدْر هي خَيْرٌ من ألف شَهر بل هي أعظمُ من ذَلك لأنَّ العَطاء عَطاؤهُم صلواتُ اللّه عليهم.

في الجزء الرابع من (الكافي الشريف)، الطبعة الَّتي أشرتُ إليها قبلَ قليل، الصفحة الستينَ بعدَ المائة، الحديثُ الرابع: **بِسَنده** - بسند الكليني - **عَنِ ابنِ أَبِي عُمَير، عَنْ غَيْرِ وَاحِد** - عن عدَّة رواة - **عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه قَالوا** - فهذا الكلامُ نقلهُ العديدُ من أصحاب الإمام - **قَالَ لَهُ بَعضُ أَصْحَابِنا وَلَا أَعْلَمُهُ** - القائلُ يقول - **إِلَّا سَعِيدَ السَّمَّان يَسأَلُ الإِمَامَ الصَّادِقَ صَلَواتُ اللّه عَلَيه: كَيْفَ تَكُونُ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْر؟** - بِحسبِنا بِحسبِ السائل - **الإمامُ قَالَ: العَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيسَ فِيهَا لَيْلَةُ القَدْر** - هذا حسابٌ رياضي، لأنَّ السائلَ هكذا يُريد، نحنُ في بعضِ الأحيانِ وليس في بعض الأحيانِ في كُلِّ الأحيانِ نَتعامَلُ معَ مُحمَّد وآلِ مُحمد كتعامُل البقَّالين من دُون حَياء، وفي بعض الأحيانِ بل في كُلِّ الأحيانِ نتعامَلُ معهُم مثلما نتعامَلُ مع الصيدليّة حينما نحتاجُ الدَّواء نذهبُ إلى الصيدليّة، لَكنَّنا مَرضى على طول الوقت إلَّا أنَّنا لا نَعرِفُ مرضنا، هكذا علَّمتنا سقيفةُ بني طوسي، وهُم تعلَّموا هذا من سقيفةِ بني ساعدة، كُلّ طيحة حظنا من ذوله!

الحديثُ السادس: **بِسَنده** - بسند الكُليني - **عَنِ الفَضلِ وَزُرَارَةَ وَمُحَمَّد بنِ مُسلم** - كُلُّ هؤلاء نقلوا الروايةَ عن حُمران، حُمران هذا أخو زُرارة - **عَنْ حُمْرانَ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا جَعفَر** - سألَ الإمامَ الباقرَ صلواتُ اللّه عليه - **عَنْ قَولِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَة"** - الآيةُ في سورة الدخان، حُمران يسألُ الباقرَ عن اللَّيلة المباركة الَّتي ذُكرت في سورة الدخان - **قَالَ: نَعَم لَيْلَةُ القَدْر** - هذه اللَّيلَة الَّتي ذُكرت في سُورة الدخان - **وَهِي فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَان فِي العَشْرِ الأَوَاخِر، فَلَم يَنْزِل القُرآن إِلَّا فِي لَيْلَةِ القَدْر** - نُزول القُرآن لهُ تَجلّياتٌ أيضاً:

- نزلَ القُرآنُ من السَّماء السابعة إلى السَّماء الرابعة.

- ونزلَ من السَماء الرابعة إلى السَماء الدُّنيا.

- ونَزلَ نَزْلَةً واحدةً في قَلْبِ رسول اللّه.

- ونَزلَ بعدَ ذَلك على المسلمينَ عبرَ رَسول اللّه.

القُرآنُ الَّذي نَزَلَ نَزلةً واحدةً في قَلبِ رَسول اللّه هذا لا علاقةَ لهُ بالتواريخ التُرابيّة الدُّنيويّة، هذه لَيلَةُ القَدْر الحقيقيّة، سأضربُ لَكُم أمثلةً في طوايا الحديث، لَيلَة القَدْر الحقيقيّة ليست هي هذه الَّتي تأتينا في كُلِّ شهرِ رمضان ومراجع النَّجف يضحكونَ على الشيعة يقولونَ لهم اقضوا صلاةَ ستَّة أيّام في هذهِ اللَّيلة وليس هُناكَ من أثرٍ في حديث الأئمَّة عن مِثلِ هذا العمل.

لَيلَةُ القَدْر أفضَلُ أعمالِها:

- أوّلاً: طلبُ المعرفة.

- وثانياً: زيارةُ الحُسَين.

- وثانياً لا أقولُ ثالثاً: الاستمرارُ في الدُّعاء لإمامِ زماننا، هُناكَ مَن يُضَعِّفُ دُعاء (اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّة بنَ الحَسَن) ويقولونَ هذا دُعاءُ الإيرانيّين، وما ذَنْبُ الإيرانيّينَ إذا كانوا يَدْعُونَ مثلَما يُريدُ صاحبُ الأمر؟!

- **فَلَم يَنْزِل القُرآنُ إلَّا في لَيْلَة القَدْر، قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكيمٍ"، قَالَ: يُقَدَّرُ في لَيْلَة القَدْرِ كُلُّ شَيءٍ يَكُونُ في تلْكَ السَّنَة إلَى مثْلهَا من قَابِل**

- برنامج تقديرِ لسنة كاملة - **خَيْرٌ وَشَرّ وَطَاعَةٌ وَمَعْصيَة وَمَولُودٌ وَأجَلٌ أو رِزْق، فَمَا قُدِّرَ في تلْكَ السَّنة وَقُضيَ فَهُو الْمَحْتُوم وَللّه عَزَّ وَجَلَّ فيه الـمَشْيئَة، قَالَ: قُلتُ: "لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ منْ ألْف شَهْر"، أيُّ شَيءٍ عَنَى بذَلك؟ فَقَالَ: العَمَلُ الصَّالحُ فيهَا منَ الصَّلاة وَالزِّكَاة وَأنْوَاع الخَيْر خَيْرٌ منَ العَمَل في ألْف شَهْر لَيْسَ فيهَا لَيْلَةُ القَدْر** - وموطنُ الشَّاهد هُنا: **وَلَوْلَا مَا يُضَاعِفُ اللّهُ تَبَارَك وَتَعَالَى لِلْمُؤْمنينَ مَا بَلَغُوا وَلَكنَّ اللّه يُضَاعِف لَهُم الحَسَنَاتِ بِحُبنا** - الأساس هُنا، تُلاحظونَ أنَّ الروايةَ اختصرت كُلَّ كلامي.

هذا هو الأفقُ الثاني من أفاقِ الحديث عن لَيلَة القَدْر؛ ما يرتبطُ بالنَّاس بِحَسَبِهم، بالخَيّر والشرّير على حدٍّ سواء، بالوَليّ والعَدو، وَليّ أهل البيت تكونُ لَيلَةُ القَدْرِ خيراً عليه، وعدوّ أهلِ البيت تكونُ لَيلَةُ القَدْرِ شراً عليه.

في (الكافي الشريف)، الجزء الأوّل/ طبعةُ دار الأسوة / طهران - إيران/ الصفحة الثالثة والسبعين بعدَ المئتين/ الحديثُ الخامس: **عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وَسلامُهُ عَليه قَالَ: كَانَ عَليّ** - أميرُ الْمُؤمنين صَلواتٌ وَسَلامٌ عَلَى أميرِ الـمُؤمنين - **كَثيراً مَا يَقُول: مَا اجْتَمَعَ التَّيْمي وَالعَدَوي عنْدَ رَسُول اللّه** - "التَّيمي"؛ أبو بكر، "والعَدَويُّ"؛ هُو عُمَر، لأنَّ أبَا بَكر منَ بَني تَيم، وعُمَر من بَني عَديّ - **عنْدَ رَسُول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله وَهُو يَقْرأ "إنَّا أنْزَلْنَاهُ"** - "إنَّا أنْزَلْنَاهُ"؛ إنَّهُ يَقرأ سورة القَدْر - **بتَخَشُّع وَبُكَاء فَيَقُولَان** - التَّيمي والعَدَويّ - **مَا أشَدَّ رِقَّتَكَ لهَذه السُّوْرَة؟** - يَجدونَ أنَّ النَّبي يتعاملُ معها بخُصوصية - **فَيَقُولُ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيه وَآله: لمَا رَأت عَيْني أو عَيْني، لمَا رَأت عَيْني وَوَعَى قَلْبي وَلمَا يَرَى قَلْبُ هَذَا من بَعْدي** - النَّبي كانَ يُشير إلى أمير المؤمنين (**وَلمَا يَرَى قَلْبُ هَذَا من بَعْدي**)، أمير المؤمنين كانَ موجوداً - **فَيَقُولان: وَمَا الَّذي رَأيْتَ وَمَا الَّذي يَرى؟** - ما الَّذي يَراه عَلي أيضاً - **قَالَ: فَيَكْتُبُ لَهُمَا في التُّرَاب** - النَّبي يَكتُبُ بإصبعه يبدو أو بشيء بيده - **"تَنَزَّلُ الْمَلَائكَةُ وَالرُّوحُ فيهَا بإذْنِ رَبِّهم منِّ كُلِّ أمْرٍ" قَالَ ثُمَّ يَقُول: هَل بَقي شَيءٌ بَعْدَ قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: "كُلِّ أمْر"** - الملائكةُ تَتنزَّلُ بإذنِ ربِّهم من كُلِّ أمْر - **فَيَقُولَان: لَا، فَيَقُول: هَلْ تَعْلَمَان من الـمُنْزَل إلَيه بذَلك؟ فَيَقُولَان: أنْتَ يَا رَسُولَ اللّه، فَيَقُولُ: نَعَم، فَيَقُول: هَلْ تَكُونُ لَيْلَة القَدْر من بَعْدي؟ فَيَقُولَان: نَعَم، قَالَ** - الَّذي تقولُ عنهُ الروايةُ (قالَ) أميرُ المؤمنين - **قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ يَنْزِلُ ذَلكَ الأمْرُ فيهَا؟ فَيَقُولَان: نَعَم** - لأنَّهُم لا يستطيعونَ إنكارَ سورة القدر - **قَالَ: فَيَقُول: إلَى مَن؟ فَيَقُولَان: لَا نَدْري** - أميرُ المؤمنين يقول: **فَيَأخُذُ برَأسي** - رسولُ اللّه يأخُذُ برأسِ أمير الـمُؤمنين - **وَيَقُول: إنْ لَمْ تَدْريَا فَادْريَا هُوَ هَذا من بَعْدي** - يُقرِّبُ أميرَ المؤمنينَ إليه ويُشيرُ إلى رأسه، هذا الَّذي تتنزَّلُ عليه الملائكةُ بأمرِ ربِّها بإذنِ ربِّها من كُلِّ أمر - **قَالَ أمِيرُ الْمُؤْمنين: فَإنْ كَانَا لَيَعْرفَانِ تلْكَ اللَّيْلَة بَعْدَ رَسُولِ اللّه** - التَّيمي والعَدويّ - **من شدَّة مَا يُدَاخلُهُمَا منَ الرَّعْب** - في تلكَ اللَّيلة.